

مخاطر ظاهرة التطرف الدينى على الأمن القومى

بناء على ما تشتمل عليه ظاهرة التطرف الدينى من التعصب الأعمى لمعتقداتها الخاصة، وما تستتبعه من أحداث تتصف بالعنف والإرهاب، وماتهدف إليه من قلب لأنظمة الحكم الحالية لإقامة نظامها الخاص بها، فإن مخاطرها لا تقتصر فقط على منطقة محلية محصورة ولا على فترة زمنية محددة، وإنما تمتد آثارها إلى خارج حدود مصر، ومن الممكن أن تستمر لعشرات من السنين القادمة.

وفيما يلى محاولة لرصد أهم المخاطر، التى تنذر بها ظاهرة التطرف:

١- إيقاف مشروعات الحداثة التى بدأتها مصر ودول المنطقة العربية المحيطة بها، منذ قرنين، فى مجالات الإدارة، والتصنيع، والتعليم، والصحة، والدفاع... الخ.

٢- تعميق محيط الفجوة بين الغرب والدول العربية (والإسلامية) بما يؤدى إلى قطع معوناتها المادية والفنية اللازمة لعمليات البناء والصيانة الضرورية لهذه الدول، وذلك بسبب طرح مقولات متعصبة تعيد إحياء جذوة العداء التقليدى الذى كان موجودا لفترة طويلة بين الغرب والمسلمين.

٣- تحريض الشباب وإقناعه بعدم المشاركة الفعالة فى عمليات البناء والتنمية والدفاع باعتبارها تابعة كلها لنظام يصفونه بالكفر، وبالتالى من الواجب عدم التعاون معه، بل العمل على الإطاحة به.

٤- القضاء على دور المرأة الإيجابى فى نهضة المجتمع الحديث، وهو الدور الذى حاربت، وحارب المجتمع معها، لكى تقوم به، وتحصل على ثمراته، وذلك بعد عهد طويل جدا من إهمالها، وقصر نشاطها على مجال ضيق للغاية.

٥- انتهاج سبيل العمل الإرهابي الخاطف والمفاجئ الذي يستهدف كبار المسؤولين في الدولة، ويتعرض له العديد من أبناء الشعب الأبرياء، ويحدث الكثير من ضروب التدمير والفوضى في سير النظام العام.

٦- استقطاب العمل السري الذي تمارسه الجماعات المتطرفة لقطاع مهم من المجتمع، وحرمان النشاط العام من جهودهم وعطائهم الذي يتبدد في محاولة تحقيق أهداف متعارضة تماما مع أهداف وتطلعات المجتمع المعاصر.

٧- احتمال تسرب الفكر الديني المتطرف إلى القوات المسلحة والشرطة: أمر وارد، وهو في ظل الظروف الاجتماعية والإدارية والاقتصادية القائمة حاليا ليس مستحيلا.

٨- في مصر بالذات، توجد أقلية مسيحية (كبيرة) تسوؤها كل مظاهر التطرف الديني لدى الجماعات الإسلامية، وتشعرها بعدم الأمان على حياتها ومستقبلها، مما يؤدي إلى إرهاب جزء هام من أجزاء الأمة، وعزله بالتالي عن المشاركة الحقيقية في تحقيق الآمال القومية.

٩- زيادة حدة التطرف الديني لدى المسلمين يحدث رد فعل مضادا لدى جماعات التطرف الديني لدى المسيحيين (وقد سبق أن شاهدنا حرب المصقات والمجسمات في السيارات بين المسلمين والأقباط، التي لم تتوقف إلا بقرار حاسم من الحكومة).

١٠- يتطلب العصر الحديث اجتهادات عقلية واسعة المدى من العقل البشري لمواجهة ما يعترضه من مشكلات مفاجئة، وأزمات طارئة. والمتطرفون الدينيون يتمسكون بنصوص قديمة لعلماء سابقين، كما أنهم يفهمون من القرآن والسنة فهما ضيقا وخصا بهم وحدهم، وهم في ذلك أقرب إلى الاتباع والتقليد اللذين يتعارضان أساسا مع الاجتهاد والإبداع.

١١- يتطلب التعامل مع ظاهرة التطرف الدينى وما ينشأ عنه من إرهاب جهدا كبيرا جدا من الحكومة. ولاشك أن هذا الجهد يؤثر سلبيا على باقى مجهوداتها الأخرى فى مجالات التنمية والإصلاح.

١٢- تعرقل ظاهرة التطرف الدينى وما ينشأ عنها من أعمال عنف وإرهاب مسيرة الإصلاح الاقتصادى، بل إنها تعمل على تقويض أعمدة الاقتصاد الأساسية فى المجتمع (وصف البنوك بأنها ربوية وبالتالي عدم التعامل معها إيداعا وقرضا).

١٣- زعزعة استقرار النظامين: التعليمى والتربوى فى البلاد، وذلك بتوجيه الاتباع لتعلم أشياء معينة، تدور كلها حول تقويض نظام الحكم الحالى وإقامة المجتمع المنشود لديهم، مع جعل أمير الجماعة هو مصدر التعليم والتربية بدلا من المدرس فى المدرسة، والأستاذ فى الجامعة.

١٤- تنشئة أفراد الجماعات المتطرفة على الطاعة المطلقة، والتعصب المغلق تجعل منهم قنابل موقوتة يمكن توجيهها لأى هدف وفى أى وقت دون حساب للخسائر المادية والأرواح، مما يجعل المجتمع يعيش حالة خوف وقلق دائمين، ولاشك فى أن هذا يؤثر على الاستقرار، الذى هو أساس عملية التنمية.

١٥- تزويد أتباع الجماعات الدينية بالإشاعات التى تحدث البلبلة بين طبقات الشعب وخاصة فى لحظات الأزمات (كما حدث أثناء الزلزال عندما أشيع أن سببه الحقيقى زيادة الفساد فى الطبقة الحاكمة) وتحريض التلاميذ والطلاب على رفض بعض مسلمات نظام التعليم (رفض تحية العلم باعتباره توجها لغير الله، وعدم القيام للمدرس احتراما على أساس أن الصحابة لم يكونوا يقومون للرسول (ص) مع أن تحية العلم المقصود بها تنشيط هم الطلاب فى الصباح، والقيام للمدرس ليس إلا نوعا من تركيز الاهتمام استعدادا لتلقى الدروس).